
بسم الله الرحمن الرحيم
مِحنَةُ الإمامِ حسّانَ أبي سلمانَ
وَمَكَائدُ أحبَارِ السُّوءِ وَالرُّهبَانِ
سجنٌ، قيدٌ، وامتحانٌ فِي الأهل، وطعن في عقيدته
بِقَلَمِ الأخِ
أبي محمد العاملي
حَفِظَهُ اللّهُ وَثَبَّتَهُ

مِحنَةُ الإِمَامْ حَسَّان أَبِي سَلْمَان

وَ

مَكَائدُ أَحبَارِ السَّوءِ وَالرُّهبَانِ

بِقَلَم :

أَبِي مُحَمَّدِ العَلِيّ

الحَمدُ للهِ المَلِكِ الجَبّار مَلاذِ المُوحّدِينَ إذا تَسَلّط علَيهِم الكُفّارُ ومُغيثُ المُستَضعَفينَ مِن كَيدِ الرُّهبَانِ والأحبَار ، أعزَّ المُؤمنينَ بكُلّ دَار وخَذَلَ المُشرِكينَ وأحَلّهم بمَكرِهِم دَارَ البَوار والصّلَاةُ والسّلامُ عَلَى نَبيّنَا المختَار وعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ السُّبّق الأوّلينَ مِن المُهاجرِينَ والأنصَار وَمَن تَبِعهُم بِإحسانٍ فى كلّ الأمكِنَة والأمصَار

أما بَعدُ ؛

فَقد اقتَضَت حِكمَة الله البَالِغةُ أن يَختَبِر عِبادَه المُؤمِنينَ ويُميّز الخَبِيثَ مِن الصّالِحينَ وَلَما كَانَ النّاسُ فى الإبتِلَاءِ يَتَفاوَتونَ وفِي قُوّة الإيمَانِ يَتَفَاضلُونَ ، وكَانَ الأنبِياءُ أكثَرُهم إيمَاناً ، وأحسَنُهم فِي عبَادَة اللهِ إتقَاناً ، كَانوُا أشَدّ النّاسِ ابتِلَاءً وامتِحَاناً ، فَلِهَذا كَان لِلعلَماءِ السّابِرينَ عَلَى نَهجِهم مِن ذلِكَ الأبتِلاْء ، الحَظّ الأوفَرُ والنّصِيبُ الأكبَرُ .

أخرَجَ التّرمذىُّ (2398) وابنُ مَاجة (4023): « عَن سَعَد بن أبِي وقّاص رضى اللهُ عَنهُ قَالَ قُلتُ يَا رَسولَ الله : أىّ النّاسِ أشَدّ بَلاءً ؟
قَالَ" :الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ».

فَكَم مِن إمَامٍ صَدع بالحَقّ قَد أوذِى ، وكَم مِن عَالِم دَعا إلى الصّدق فِي سَبيلِ اللهِ قَد عُودِى فَمِنهُم مَن قُتل ومِنهم مَن أخرِج وَمنهُم مَن زُجّ فى الزّنازينِ والسّجُون ، وَكثِيرٌ مِنهم قَضى عمرهُ فِيهَا حتّى تخَطّفتهُ يَدُ المَنون .

وأمّا زمَانُنا هَذا فَقَد كَثُرَت عَلى العُلماء الصّادقين الفِتنُ والبَلايَا ، واشتدّت عَليهِم المِحنُ والرّزَايا ، فَهُم – كسَلَفهم – مَا بينَ قَتيلٍ وطَريدٍ ، أو مسجُونٍ أو غَريبٍ عَنِ الأوطَانِ شرِيدٍ .

وَمِن هَؤلَاء العُلمَاء الصّادِقِين الّذينَ أوذوا وامتُحنُوا فى سَبيلِ إبلَاغ رِسالَة الله : العَالِم العَامل ، والإمَام الصّابِر قُدوةُ الأفَاضِل ، الشَيخُ حَسّان بن حُسين أبُو سَلمَان – فكّ اللهُ أسرَهُ مِن سُجُونِ النّصارى

لَقَد أوذى هَذا العَالِم فِي سَبيلِ الدّعوةِ مِرَاراً وتكراراً ، وسُجِن أزمَاناً وأعصَاراً ، ولاقَى مِن أعداءِ الرّسلِ وشِرارِ الخَلقِ كُرُوباً وأكداراً ، وكَان أشدّ ما يُلَاقِيهِ مِن أقوَامٍ انتَحلُوا بالعِلمِ مِمن اتّخَذوا مِن دُون اللهِ وَرسُولِهِ والمُؤمِنينَ ولِيجَة ، وَظاهَرُوا أهلَ المُحَادّة والشّقَاق ، وَجادَلُوا عَن ذوى الكُفر والنّفَاق .

ذَلِك أنّهُ يَدعُوا إلى دَعوةِ الحقّ والأيمَانِ ، والبَرَاءَة مِن الشِركِ والكُفرَان ، وتَحكيمِ الشّرِيعَةِ وَكَسرِ الأديَانِ ،

فاجتَمَعُوا عَلَيهِ ونَسبُوه إلى كُلّ قَبِيحٍ ، ورَمَوهُ بالعَظَائِم وَوصَفُوهُ بالخَارِجيّة والتّكفِير ، وصَدقَ الله العَلِيمُ الخَبِير ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ آل عِمرَان:186

إى والله قَد سَمعَ منهُم أذىً كَثيراً فلَقَد أصدرُوا بَياناً ، نَسَبُوه إلى التّكفِير زُوراً وبُهتَاناً ، وَزَعموا أنّ الشّيخَ يَنتَحِلُ مذهَب الخَوارِجِ ظُلماً وعُدواناً ، لَما رأو انتِشَار دَعوَتِهِ وإقبَالِ النّاسِ إلَيهَا وَرَواجِهَا بَينَ الخَواصّ والعَوامّ ، وَحُبّهِم لَه وثَنايِهم عَلَيهِ .

قَالَ ابنُ قَيّم فِي مفتَاح دَارِ السّعَادَة(373/1): وَلكِنّهُم لمّا عَلِمُوا أنّهُ لَا سَبِيلَ إلَى سَلبِه عِلمَهُ عَمَدوا إلى جَحدهِ وإنكَارهِ لِيُزيلُوا مِن القُلوبِ مَحبّتَهُ وَتقدِيمَهُ والثّناءَ عَليهِ ، فَإن بَهرَ عِلمُه وامتَنعَ عَن مُكابَرَةِ الجُحُود والإنكَارِ ؛ رَموهُ بالعَظَائِم ونَسَبوهُ إلى كُلّ قَبيحٍ ، لِيُزيلُوا مِن القُلوبِ

مَحَبّتهُ ويُسكنُوا مَوضِعَهَا النّفرَةَ عَنهُ وبُغضَهُ ، وَهذا شُغل السّحَرةِ بِعَينِهِ فَهَؤلَاء سَحَرَةٌ بِألسنَتِهم) اهــ

ولَا عَجبَ فهوَ مِن عُلمَاء الآخِرَة وَهُم مِن عُلمَاء الدّنيَا ، وهُو مِن خُلَفَاء الرّسلِ والأنبياء وهُم مِن أعدَائِهم ودُعَاةٌ علَى أبوَابِ جهَنّمَ ، لِذلكَ يُبغِضونَهُ وَيَسعَونَ فِي أذاهُ جَهدَهم ،

قَالَ الحَافِظُ ابنُ رجَب الحَنبَلِيّ رَحِمَهُ اللهُ: وَلِهذا كَانَ عُلَماءُ الدّنيَا يبغضُونَ علَمَاء الآخِرةِ وَيَسعَونَ فِي أذاهُم جهدَهُم ، كَمَا سَعَوا فِي أذى سَعِيد بنِ المُسيّب والحَسَنِ وسُفيَان ومَالِكٍ وأحمَدَ وغَيرِهِم مِن العُلمَاء الرّبّانِيّينَ ، وَذلكَ لأنّ عُلمَاء الآخِرة خُلَفَاء الرّسُل ، وعُلَمَاء السّوء فِيهِم شَبَهٌ مِن اليَهُودِ وَهُم أعداءُ الرّسلِ وَقَتلَة الأنبِياءِ ومَن يَأمُرُ بالقِسط مِن النّاسِ ، وهُم أشدّ النّاسِ عَداوةً وَحَسَداً لِلمُؤمِنينَ ، ولِشدّةِ مَحبّتِهِم للدّنيَا لَا يُعَظّمونَ عِلماً ولَا دِيناً ، وإنّمَا يُعظّمونَ المَالَ والجَاهَ والتّقَدّمَ عِند المُلُوك) اهــ . مَجمُوع رَسائِل الحَافِظ ابنِ رَجَب (19/1).

لَقَد حَاوَل هَؤلَاء البُؤسَاء اسقَاطَ الشّيخ وتَشوِيه سُمعَتِهِ ودَعوَتِه بِكِلّ وَسِيلَةٍ تمكِن ، فعقَد كَبِيرُهُم مُحَاضَرَةً ، قَصَد بهَا التّنفيرَ عَنهُ وتأليِبَ العَوامّ عَلَيهِ ، فَردّ عَليهِ شَيخُنا بمُحاضَرَتِه الحَافِضةِ الرّافِعة (القَول الأمِين فِي صَدّ العُدوانِ المُبين) – الّتي ذبُلَت بِهَا شَفتاهُ وجَفّ لَهَا رِيقُهُ – فَفنّدَ كَذبهُم وأظهَرَ حِقدَهُم ومَكرَهُم ، وكَشفَ للنّاسِ جهلَهُم فرَغِمت أنُوفُهُم وللهِ الحمدُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ ؛

وإنْ رَغِمَت أنُوفٌ مِن أنَاسٍ *** فَقُل يَا رَبّ لَا تُرغِم سِواهَا.

فَأظهَرَت هَذهِ المُحَاضرَةُ نَجِيثَ القَوم ، وَكَشفَت لِلنّاسِ خُبثَهُم وأيقَظَت عَوامَ المُسلِينَ الّذين انخَدَعُوا بِهم مِن غَفلَتِهِم ، فَخَيّب اللهُ ظنّهُم وأبطَلَ كَيدَهُم ومَكرَهُم

فَتَلاوَمُوا وتَذامَروا ، وعَقَدُوا المُؤتَمراتِ والمُحاضَراتِ وسَوّدُوا الأوراقَ بالبَيانَات فِي التّحذيرِ مِنهُ والتّنفيرِ عَنهُ ، واستَحلّوا دَمَهُ وحَلّلوهُ ، وبدّعُوهُ وضَلّلُوهُ ، وأفتَوا بأنّهُ عَدوٌّ صَائِلٌ يَجِبُ دَفعُهُ ، وخَارِجِيٌّ يَستَحلُّ دِماءَ العُلَماءِ والصّلَحاْءِ يَتَحَتّمُ قَمعُهُ

وَلَم يَكتَفُوا بِذلكَ حَتّى سَعوا بِهِ إلَى أيِمَةِ الكُفرِ وَحُماة الصّلِيب ، وَأنفَقُوا مِن المَالِ فِي ذلكَ الغَالِي والنّفِيس ، وَحَاولُوا الفَتكَ بِهِ مِراراً ، وأوسَعُوا حِيَلَهم عَلَيهِ إعلَاناً وَإسراراً ، فَسُجنَ الشّيخُ مِرَاراً وتكرَاراً ، ثُمّ خَرَج مِن السّجنِ بِفَضلٍ مِن اللهِ وإحسَاناً ، وفَرّجَ عَنهُ رَحمَةً مِنه وامتِناناً ، فوَاصَل شَيخُنَا مُجَاهَدةَ أهلَ البَاطِل ، يَصبِر صَبر الجِبَال ، وَيَصُولُ فِي المَيدانِ صَولَةَ الرّجَال ، فَصارَت دَعوَتُهُ تَزدادُ كُلّ يَومٍ انتِشَاراً ، ومَذهَبُ الحَقِّ اتّسَاعاً وانتِصَاراً ، وسَارَت مُصنّفَاتُهُ مَسيرَ الشّمسِ فِي الأقطَار ، فَلَا تَلقى مِن أهلِ العِلم إلّا قَبُولاً وثَناءً ، حَتّى خُصومُه ومُخَالِفوه مِن أهلِ العِلمِ يَعتَرِفُونَ لَهُ بِسعَةِ اطّلاعِهِ وَوُفور عِلمِهِ وقُوّة بُرهَانِهِ ، بَل صَارَ مُحَقّقُوا أهلِ العِلمِ فِي عَصرِنَا ، يَستَدعُونَ تَصانِيفَهُ وتَحقِيقَاتَهُ العِلمِيّة فى شَتّى الفُنُون ، ويُثنُونَ عَليهَا

فَعَظّمَ اللهُ شَأنَهُ وأعلَى مَكَانَتهُ وَذِكرَه ، وأظهَرَ مَحجّتَهُ وَأبَانَ فَضيلَتَه ، وَأرغَمَ أعدَءَهُ وأفشَل مَكرَهُم وَأبطَلَ سَعيَهُم ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ .

وَالّذى تَوَلّى كِبرَ هَذِه الحَملَة ؛ سُوقِي مُنتَحلٌ ، اشتَهرَ بَينَ الخَاصّةِ بِاسمِ«الغُرَاب» وَرُبّمَا نَعَتُوه بـ«بِشيخ مُكَافَحةِ الإرهَاب» قَد عَادى المُؤمِنينَ وَنَصَح لِلكَافِرِين ، وَجَادَل عَنِ الزّنَادِقَةِ وَالمُرتدّين ، فَصَارَ أهلُ الحَقّ عِندَهُ أغرَاراً ، وأهلُ الكُفر وَالزَندَقَة أبرَاراً ، فَنكّسَ اللّه فِطرَتَه ، وَأعمَى اللّه بَصرَهُ وَبَصِيرَتهَ

وَلَمّا سُجِنَ الشّيخُ هَذهِ المَرّة وَداهَمَ العَدُوّ بَيتَهُ ، وقِيدَ هَذا الأسَدُ هُو وَزَوجُهُ – عَجّل اللهُ فَرَجَهمَا – إلَى السّجنِ وَهُو مُكبّلٌ بِقُيُودِه ومُغَلٌّ فِي سَلَاسِلهِ ؛ انبَعَثَ هَذَا اللّئيمُ فَكَتَبَ مَقَالاً

يَتهِم الشّيخَ بالعَمَالَة والتّجَسّسِ وَمُباطَنَة الأعدَاء ، بَعدَ أن كَسَدَت فِريَةُ الخَارِجِيّة والتّكفِير فِي أسوَاقِ التّهَم ، وضَاعَت وتَلاشَت فِي الهَواْءِ ؛

لَكِن إذا الأسَدُ الضّرغَامُ غَابَ عَنِ **** العَرِينِ تَسمَعُ ضَبحَ ثَعلَبِهِ

كَذا الجَبَانُ خَلَا فِي البرّ صَاحَ ألا **** مُبَـارِزٌ وَتَغَالَى فِي تَوَثّبِـهِ

وَلَا عَجَب فَهِي سُنّةُ المُبطِلِينَ مَعَ المُحقّين، إذَا أعيَتهُم الحُجَج وَأعوَزَتهم البَرَاهِين ، فَقَد سَعَى مِن قَبلُ البرزنجِيُّ بالإمَامِ المُحقّقِ صَالِح المَقبَلِي إلى الرّومِ ونمَّ بِهِ إليهِم لَمّا عَجَز عَنِ الحُجّةِ والبُرهَان ، فَردّ اللهُ كَيدَهُ وكَبَتَهُ بِغَيظِهِ ، وَقِصّتُهُ مَبسُوطَةٌ فِي «الأروَاح النَّوافِخ» وَقَد وَصَفَهَا المَقبَلِيّ فِي «الأبحَاثِ المُسدّدَةِ» بِأعظَمِ مَكِيدَةٍ فِي عَصرِهِ ، فَكَيفَ لو رَأى – رَحمَهُ اللّه - هَذِهِ ، فَإلى اللهِ الشّكوَى ، وَإلَيهِ المَلَاذُ مِن كَيدِ المَاكِرِينَ

هَذِهِ عَادَةُ هَذا اللّئيمِ وَدَيدَنُهُ ، وَلَسنَا نَستَغرِبُ مِنْهُ ذلكَ فَقَد اشتَهَرَ بِإلصَاقِ التّهَم الباطِلَةِ الّتِي لَا تَنطَلِي عَلى العَوامّ والسّفَهَاء فَضلاً عَنِ العُلَمَاء والعُقَلَاءِ – بأهلِ العِلمِ الصّادِقِينَ المُخلِصِينَ بَعدَ أن سَعَى وَنمَّ بِهِم إلى الطّوَاغيتِ الصّلِيبيّينَ ، وَأيِمّة الكُفر المُلحِدِين ، فَغُيّبُوا فِي السّجُون وَزُجّوا فِي الزّنَازِين

وَلَمَا اعتُقِل الشّيخُ الفَاضِلُ أبُو عَبد الرّحمنِ العُمَرِيُّ – حَمَاهُ اللهُ – بسَعيِ هَذا اللّئيمِ ؛ بَادَر بِنَشرِ مَقَالٍ يَتّهِمُهُ بالعَمَالَةِ وَتَقدِيمِ الأسرارِ لِهَيئَةِ مُكَافَحَة الإرهَاب ، واللهُ يَعلَمُ أنّهُ مُبَرّؤٌ مِن تَزوِيرِهِ وَاعتِدَايِهِ

فَضَحتَ نَفسَكَ فِي هَذا المَقَالِ ولَم **** تَشعُر وَعُجتَ عَنِ المَرعَى وأخصَبِهِ

وَقَد اكتَوى بِنَار فِريَتِهِ مِن قَبلُ الإمَامُ المُجَدّدُ شَهِيدُ الإسلَامِ ؛ أسَامَة بنُ لَادِن – ﷺ– والشّيخُ الأمِيرُ أيمَن الظَوَاهِرِيّ – ثَبّتَهُ اللّه – فَقَد اتّهَمهُما بالتّجَسّسِ لِلأمرِيكَان ، والعَمَالةِ لِدَولَة

الكُفرَان ، لكِنّ اللّه أرَاد أن يذِلّهُ حَتّى لَفظَ بِهذهِ الكِذبَة ، فَسقَط عَن أعيُنِ العَوَامّ قَبلَ الخَوَاصّ ، حَتّى جَعلنَ الإمَاءُ يَلعنّهُ ، وَهكَذا عَاقِبَةُ مَن عَادَى لِلّهِ وَلِيّاً

وَلَمّا أسرَ العَدوّ الشّيخَ المُجَاهِد حَسَن طَاهِر أوَيس – فَرّجَ اللهُ عَنهُ – رَكِبَ هَذا اللّئِيمُ المِنبَر وَهَزّ الأعوادَ وَنَالَ مِن عِرضِ الشّيخِ مَا نَالَ ، واللهُ المُستَعَان

والعَجَبُ مِن وَقَاحَةِ هَذا السّوقِي وضَحَالَةِ عَقلِهِ ، كَيفَ يَتّهِمُ مَن عَرَفَ القَاصِي والدّانِي صِدقَ ولَاءِهِ لِلمُؤمِنِينَ وبَرَاءتِهِ مِن الكَافِرينَ بِما اشتَهَرَ – هُو بِهِ مِن العَمَالَة وَمُمَالَئةِ الأعدَاءِ ، مِمّا هُو مِن الأمورِ المَعرُوفَةِ والأحوالِ المُتَدَاولَة المُتَعَالَمَة ، الّتى لَا تَحتَاجُ مِنّى إلى شَرحٍ وبَسطٍ لِأنّها مُقَرَرَةٌ عِندَ الجَمِيعِ حَتّى العَجَائز فِى بُيوتِهِنّ ، وَدايِرَةٌ فِى عرضِ الحَدِيثِ

أيُتّهَمُ بالعَمَالَةِ مَن قَضى عُمرَهُ بِتَوطِيدِ عَقِيدَةِ الوَلَاءِ والبَرَاء حَتّى صَارَ مَضرِب المَثَلِ فِى ذلكَ ، أم مَن بَاعَ دِينَهُ واشتَرى بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً ، فَصَار هَمّهُ تَعزِيزَ سُلطَان أسيَادِه وأولِياءِ نِعمَتِهِ ، فَأىّ الفَرِيقَينِ أحقّ بالعَمَالَةِ إن كُنتُم تَعلَمُونَ ؟

عَجِبتُ لِمُبتَاعِ الضّلالَةِ بالهُدَى **** ولَلمُشتَرى دُنيَاهُ بالدّينِ أعجَبُ

وَأعجَبُ مِن هَذَينِ مَن بَاعَ دِينَهُ **** بِدُنيَا سِواهُ فَهُوَ مِن ذَينِ أخيَبُ

هَذا حَالُ مَن نَفَخَ فِى بُوقِهِ الكَافِرونَ ، وَحَارَبُوا بِهِ الأولِيَاءَ والصّالِحِينَ ، قَد غَلَبَت عَلَيهِ الإحَن وغَلَت مَراجِلُهَا لَدَيهِ ، فَلَا يُرِيحُ نَفسَهُ مِن جهدٍ ولَا يَقِفُ مِن اللّجلَجَةِ عِندَ حَدّ واللهُ يَستَعمِلُ مَن يَشَاءُ فِى سَخَطِهِ كَمَا يَستَعمِلُ مَن يُحِبّ فِى مرضَاتِهِ

قَالَ ابنُ قَيّم فِى مفتَاحِ دارِ السّعَادَة (456/1) : ومَا يَلقَى العَالِم الدّاعِى إلى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يَلقَاهُ مِن الأذى والمُحَارَبَةِ إلّا عَلَى أيدِيهِم واللهُ يَستَعمِلُ مَن يَشاءُ فِى سَخَطِهِ كَمَا يَستَعمِلُ مَن يُحِبّ فِى مَرضاتِهِ إنّهُ بِعبَادِهِ خَبِيرٌ بَصيرٌ) اهـ

لَقَد تَرَبّي هَذا اللّئِيمُ بِالمَهَانَةِ وَالذّلّة ، والتّجَسّس والعَمَالة ، فَلَا إِيمَان يزَعُه ، وَلَا رُجُولَة تَردَعُهُ عَن هَذِهِ الرّدةِ والخَساسَة ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ المَائدَة : 81

نَعم قَد فقَد الإِيمَان والرّجُولَة مَعاً ، فَلَيسَ هَذا مِن شِيَم ربّاتِ الحجَال فَضلاً عَن ذَوِى المُرُوءَةِ وَالرّجَالِ وَقَد قَصّ اللّه فِى كِتَابِه العَزِيز عَن مَواقِف الرّجَالِ المُؤمِنين إذَا تَآمَر الطَّواغِيتُ عَلَى الأنبِيَاء والمُرسَلينَ وَتَسلّطُوا عَلَى الدّعَاة المُصلِحينَ ، فَقَال عزّ شَأنُهُ ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القَصَص : 20 . وَقَال فِى مَوضِعٍ آخر ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ غَافِر : 28

فَانظُرُوا – رَحِمَنِى الله وَإِيّاكُم – مَوقفَ هَذا الرّجُل وَقُوّة إِيمَانِه كَيفَ انبَرَى مِن بين النّاسَ وَهُوَ يَسعَى وَيَستَحِثُّ الخُطا لِيَنصَح أخَاهُ مُوسَى عليه السلام لَمّا عَلِم أنّ الطّوَاغِيت يَاتَمِرُونَ بِهِ لِيَقتُلُوهُ ، وانظُرُوا إلى هَذَا المَخذُول المَرذُولِ كَيفَ سَعَى وَنَمَّ بِهَذا الإمَام إلَى الطَّوَاغِيتِ الصّلِيبِيّينَ وَهُم عَنهُ غَافِلُون ، فَسُبحَان الّذى يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدِى مَن يَشَاءُ وَلَا رَادَّ لِحُكمِهِ وَهُو أحكَمُ الحَاكِمينَ

وَليَعلَمِ المَخذُول أنّهُ عَقد صَفقَةَ الخُسرَان ، وَأنّ بَحرَ العَمالَة سَتُلقِيهِ إلَى شَاطِئِ الهَوَان ، وَأنّ الله لَهُ بِالمِرصَاد وَلَن يُعجزَهُ هَرباً مَهمَا تَغَالَى فِى الظُّلمِ والعُدوَان ، وَليَعلَم – وَإِن لَم يَعتَبِر بِهِ - مَا حَلّ بأخِيهِ وَسَلَفِهِ القَاضِى المَروزِى وَغَيرِهِ ، الّذِى سَعَى بعُلَمَاء القَيرَوان ، فَقَد سَجّلَتهُ التَّارِيخ عِبرَةً لِلمُعتَبِرِين ، وَصَارَ مَرمىً لِلَعنِ اللاّعِنِين

قَالَ الإِمَامُ أَبُو زَيد الدَّبَاغ فِي مَعَالِمِ الإِيمَان فِي مَعرِفَة أهلِ القَيرَوان (160/2)، في ترجمة: «أَبِي جَعفَر مُحَمّد بنِ مُحمّد بنِ خَيرُون المَعافِرِي الأندَلُسيّ»: «وَكَانَ فَقِيهًا صَالِحاً عَابِداً مِن خِيَارِ المُسلِمِين ، وَكَانَ سَببُ قَتلهِ أَنّهُ سَعَى بِه القَاضِي: «مُحَمّد بنُ عُمَر المَروذي» قَاضِي الشِّيعَة إِلَى عُبَيدِ اللهِ المَهدِيّ ، فَأمَر الحُسَين بنَ أَبِي خِنزِير بِقَتلِهِ ، فَعَذّبهُ إِلَى أَن مَات.

حَكَى الشَّيخُ أَبُو الحَسَن القَابِسِيُ ﷺ تَعَالَى قَالَ: أَخبَرَنِي مَن أَثِقُ بِهِ أَنّهُ كَانَ جَالِساً عِندَ ابنِ أَبِي خِنزِيرٍ إِذْ دَخلَ عَلَيهِ شَيخٌ ذُو هَيبَةٍ جَمِيلَةٍ ، وَقَد عَلَاهُ اصفِرَارٌ مَعَ حُسنِ سَمتٍ وَخُشُوعٍ ، فَلَمّا رَآهُ ابنُ أَبِي خِنزِيرٍ بَكَى فَقَالَ لَهُ: مَا الّذِي يُبكِيكَ ؟ قَالَ: السُّلطَانُ يَعنِي عُبَيدَ اللهِ وَجّهَ إِلَيّ يَأمُرُنِي بِدرسِ (بِدسّ) هَذَا الشَّيخ حَتَّى يَمُوتَ ، وَهُو ابنُ خَيرُون ، ثُمّ أَمَر بِهِ فَأُدخِلَ إِلَى مَجلِسٍ ، وَبُطِحَ عَلَى ظَهرِهِ وَطَلَعَ السُّودَانُ فَوقَ سَرِيرٍ فَقَفَزُوا عَلَيهِ بِأَرجُلِهِم حَتَّى مَاتَ ، وَذَلِكَ مِن أَجلِ جِهَادِهِ عَلَى دِينِ اللهِ تَعَالَى وَبُغضِهِ لِبَنِي عُبَيدٍ» اهـ

وَقَالَ أَبُو بَكر المَالِكِي ﷺ«وَنَهبَ ابنُ أَبِي خِنزِير مَالَهُ وَأَخَذَ مولدَةً كَانَت لَهُ وَجَعَلهَا مَعَ خَدَمِهِ ، فَلَمّا طَالَ عَلَى ابنِ أَبِي خِنزِيرٍ كَثرَةُ مَا يَأتِي بِهِ المَروذِيُّ مِنَ العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِيَقتُلَهُم سَعَى بِهِ عِندَ عُبَيدِ اللهِ وَمَضَى فِيهِ إِلَى المَهدِيَةِ ، فَقَبِلَ عُبَيدُ اللهِ قَولَهُ وَمَكّنَهُ مِنهُ ، فَأَخَذَهُ فَأَلبَسَهُ تَليساً وَرَمَاهُ فِي اسطَبلِ الدَّوَابّ تَمشِي عَلَيهِ فَرَكضَت فِي بَطنِهِ حَتَّى قَتَلَتهُ ، وَكَانَت تِلكَ المُولدَةُ الّتِي كَانَت لِابنِ خَيرُون تَأتِيهِ وَهُوَ تَحتَ أَرجُلِ الدَّوَابِّ ، فَيَقُولُ لَهَا: إِنَّكِ بِسَبَبِي صِرتِ عِندَ السُّلطَانِ ، فَتَقُولُ لَه: يَا شَيخَ السُّوءِ قَتَلتَ سَيّدِي ابنَ خَيرُون شَيخَ القَيرَوَان وَأَزَلتَنِي مِن عِندِهِ وَرَدَدتَنِي عِندَ خِنزِير بنِ خِنزِيرٍ وَتَأمُرُ خَدَمَهَا فَيلطِمُونَهُ وَيُطعِمُونَهُ قَذِرَهُ ، وَكَانَت هِيَ المُتَوَلّيَةُ لِعَذَابِهِ حَتَّى هَلَكَ لَعَنَهُ الله» اهـ. رِيَاضُ النُّفُوس :(54/2)

قَالَ أَبُو القَاسِمِ التّنُوخِي ﷺ«وَقَد أَخَذَ الله عَدُوّهُ القَاضِي المَروذِيّ الّذِي سَعَى عَلَيهِ مِن جِنسِ فِعلِهِ بِالشَّيخِ بِأَحسَنِ الأَشيَاءِ وَهُو عَفسُهُ تَحتَ أَرجُلِ البَهَائِمِ مَعَ مَا عُذّبَ بِه بِغَير ذَلِكَ ، وَجَزَى

اللّه مَشِيخَةَ القَيرَوَان خَيراً ، هَذَا يَمُوتُ ، وَهَذَا يُضرَبُ ، وَهَذا يُسجَنُ ، وَهُم صَابِرُونَ لَا يَفِرُّون ، وَلَو فَرُّوا لَكَفرتِ العَامّةُ دَفعَةً وَاحِدةً».اهـ معالم الإيمان: (2/161-162).

وَإِنّي لَأرجُو اللَّه العَلِيَّ القَدِير أن يَأخُذَ عَدُوَّهُ «الغُرَاب» كَمَا أَخَذَ عَدُوَّهُ المَرُوذى ، وَيَفضحَ سَرِيرَتَهُ ، وَيَكشِفَ خَبِيئَتَهُ ، فَلَطالَمَا تَسَتَّر بالعِلمِ والصّلَاح ، وَوَسَمَ نَفسَهُ بالإستِقَامَةِ وَالفَلَاح

وَكُنتُ مِن قَبلُ أسألُ اللّه أن يَهدِيَهُ إلى الحقِّ والصّواب ، أمّا اليَومَ وَقَد لَحِقَ بصَفِّ أهلِ الكُفر والوَثَن ، وعَادَى أهلَ القُرآن والسُّنَن ، ولَازَم الشّقَاقَ والعَنَن ؛ فَإِنّي أسأل اللهَ الّذى لَا إلهَ إلّا هُو أن يُميتَهُ ويَبعَثَهُ عَلى مَذهَبِهِ وَمَا هُو عَلَيه اليَومَ ، ويُمِيتَنِي ويَبعَثَنِي عَلى مَذهَبِ الشّيخِ أبى سَلمَان ومَسلَكِهِ ، خَصمَينِ اختَصَمُوا فِي رَبّهِم ، ألا فَليُأمّن لِي مَن كَانَ باللهِ مُؤمِناً ، ولْيأمِّن لِي هُو إن كَانَ صَادِقاً .

*****

اصبِر شَيخَنَا العَانِي

شَيخَنَا الغَالِي لَقَد أحزَنَنِي خَبَرُ اعتِقَالكَ ، وَوَجدتُّ عَليهِ مَالَا يَجِد الأخُ عَلى شَقِيقِهِ بَل الوَالِدُ عَلى وَلدِهِ ، فأصبَحتُ لَا يَستَقِرّ لِي مَضجعٌ ، وَلا يَجُفُّ لِي مَدمَعٌ ، وَإنّنِي حِينَ أكتُبُ إليكَ هَذِه الكَلِمَاتِ لَتسِيلُ الدّمُوعُ عَلى خَدُودِي ، وَمَا بَعَثَنِي بكِتَابتِهَا – والله – إلّا هَمٌّ قَد نَكَأَ القَلبَ وَأبكَى العَين ، وَإنّى أذَكّرِكَ – شَيخِي الحَبِيب – بِمَا أنتَ أعلَمُ بِهِ مِنّى عَمَلاً بقَولِ اللّهِ جَلّ وَتَعَالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذّارِيَات:55

- اعلَم شَيخَنَا الغَالِي أنّ اللّه اصطَفَاكَ وابتَلَاكَ لِيَمتحِنَ قَلبَكَ ، وَيَرفعَ قَدركَ بَينَ العَالَمينَ وَذِكركَ ، وَهَكَذا تُبتَلى الرّسُل وَالأنبِيَاء وَمَن سَارَ عَلَى نَهجِهِم ، ثُمّ تَكُونُ لَهُم العَاقِبَة

- اصبِر شَيخَنَا العَانِي فَلَقد مَضَى فِي هَذا الطّرِيقِ قَبلَكَ أَيِمّةٌ يُقتَدى بِهِم ، فَقَد سُجنَ الإِمَامُ الرّبِيع بنُ أَنَس الخُرَاسَانِي شَيخ ابنُ المُبَارك ثَلَاثِينَ سَنَةً ، قَال الذّهَبِيُّ فِي السّيَر (379/8) : قَال ابنُ أَبِي دَوُد : سُجنَ بِمروَ ثَلَاثِينَ سَنَة ، قُلتُ : سَجَنَهُ أَبُو مُسلِم تِسعَة أَعوَامٍ ، وَتَحَيّل ابنُ المُبَارَك حَتّى دَخلَ إِلَيهِ فَسمِع مِنهُ) اهـ

وَلَقد وَدِدنَا – واللّه – أن نَجِد حِيلَةً نَدخُلُ إِلَيك فَنَسمعَ مِنكَ وَنَستَفِيد ، لكِنّ أَعدَاءَ اللهِ مَا سَجَنُوكَ إِلّا لِيُحرّمُونَا مِن عِلمكَ ، وَقد أَفلَحَ اليَومَ مَن كَانَ مَعكَ فِي زَنزانَتِك

- أَذَكّركَ شَيخَنَا العَانِي – وَأَنتَ الّذى عَلّمتَنِي – بِأَنّهُ قَد مَاتَ فِي هَذا الشّأنِ أَيِمّةٌ فِي حَدِيدهم ، فَقد مَاتَ الإِمَامُ البُويطِيُ فِي قَيدِهِ مَسجُوناً ، وَلم يُثنِهِ عَن مَنهَجِهِ ظُلمَةُ الحبُوس وَلَا قَسرُ الإعتِقال ، قَالَ الذّهَبِيّ فِي السّيَر (59/12): قَالَ الرّبِيع ابنُ سُليمَان : كَان البُويطِي أَبَداً يُحرّك شَفَتَيه بِذكرِ اللهِ وَمَا بَصُرتُ أَحَداً أَنزَع حُجّةً مِن كِتَاب اللهِ مِن البُوَيطِي ، وَلَقد رَأَيتُهُ عَلى بَغلٍ فِي عُنُقِه غَلٌّ وَفِي رِجلَيهِ قَيدٌ وَبَينهُ وَبَينَ الغَلّ سِلسِلَةٌ فِيهَا لَبِنَةٌ وَزنُهَا أَربَعُونَ رطلاً ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنّمَا خَلقَ اللّه الخَلقَ بـ(كُن) فَإِذَا كَانَت مَخلُوقَةً ، فَكَأَنّ مَخلُوقاً خُلِقَ بِمخلُوق ، وَلَئِنْ أَدخِلتُ عَلَيهِ لَأَصدُقَنّهُ – يَعنِي الوَاثِقَ – ولأَمُوتَنَّ فِي حَدِيدى هَذا حَتّى يَأتِي قَومٌ يَعلَمُونَ أَنّهُ قَد مَاتَ فِي هَذا الشّأنِ قَومٌ فِي حَديدِهِم) اهـ

قَالَ الذّهَبِي : ((مَاتَ الإِمَامُ البُوَيطِيُ فِي قَيدِهِ مَسجُوناً بالعِرَاقِ سَنَةَ احدَى وَثَلَاثِين وَمِأَتَينِ)) اهـ السّيَر(61/12)

- اصبِر شَيخَنَا العَانِي ، فَإِن سَجَنُوكَ فِي هَذِ الدّنيَا فَلَهُم السّجِينُ فِي الآخِرَة ، - إن شَاءَ الله

- قَالَ اللَّه ﷻ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾ المُطفّفِين:7

وَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : « يُحشَرُ المُتَكَبّرُون يومَ القِيَامَة أمثَالَ الذّرّ فِي صُورَةِ الرّجَال يَغشَاهُم الذّلُّ مِن كُل مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إلى سِجنٍ فِي جهنَّم يُقَالُ لَهُ بولَس ، تَعلُوهُم نَارُ الأنيَار يُسقَونَ مِن عُصَارَة أهلِ النّارِ طِينَةَ الخَبَال » أخرَجَهُ التّرمِذِيُّ (2492) عَن عَمرو بنِ شُعيبٍ عَن أبيهِ عَن جَدّهِ

- اصبِر شَيخَنا العَانِي ، فَوَاللهِ إِنَّنا لَنَعلَم أَنّك تَلقَى مِن السُّفَهَاء أذىً كَثِيراً ، لَكِن احتَسِب عِندَ اللهِ ثَوَاباً وأجراً كَبِيراً ، واللَّه سَيُصرِعُ جُدُودهُم ، وَيُضرِعُ خُدُددَهُم بَينَ يَدَيك – بِإِذنِ اللهِ -

أذَكّرُك شَيخِي – وَأنتَ الّذِي عَلّمتَنِي – بِقَولَ اللهِ جَلَّ شأنُهُ : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ الفُرقَان:20

وَقَولهِ: ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ آل عِمرَان:186

- شَيخَنَا العَانِي أعلَمُ – وَاللهِ – أنّ مقَالَتَهُم لَن تَلقَى صَدىً فِي أسمَاعِكُم ، وَأنّكَ مُوقِنٌ بِنَصرِ اللهِ لأولِيَائِهِ المُوَحّدِينَ ، لَكِنّ اللهَ إذا أحَبّ قَوماً ابتَلَاهُم ، فَمَن رَضِى فَلهُ الرِّضَا وَمَن سَخطَ فَلهُ السّخطُ » رَوَاهُ التّرمِذيُّ وابنُ مَاجةَ

وَإِنِّي لَأسألُ الله الّذى لَا إلهَ إلّا هُو أن يَنتَقِم لَكَ مِن أعدَائِك الحَاقِدِين ، وَوَقَاك كَيدَ الخَائنِينَ ، إنّهُ سَميعٌ مُجِيبٌ لِعِبَادِه المُؤمِنِينَ

******

ثُمّ إنّي أخَاطِبُ إخوَانِي المُؤمِنِينَ فِي كُلّ مَكَانٍ مِن تَلَا مِيذ الشَيخ وَمُحِبّيهِ بِأن يَعلَمُوا أنّ نُصرَةَ هَذا الإمَام وَمُؤَازَرتَهُ والقِيَامَ بِحَقّهِ فَرضٌ وَاجِبٌ وَأنّهُ مِن أعظَمِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزّ وَجَلّ

واعلَمُوا مَعشَرَ الألِبّاء ، والخُلَصاءِ الأحِبّاء أنّ اللّه سُبحَانهُ قَد خَصّ بِكُم هَذِهِ النّعمَةِ بَينَ المُسلِمينَ ، وَآتَاكُم مَا لَم يُؤتِ أحَداً مِن العَالَمِينَ ، وَلَكِن مَن لَم يُسافِر إلى الأقطَار وَلم يَتَعَرّف أَحوَالَ النّاسِ لَا يُدرِكَ قَدرَ هَذهِ النّعمَة ، فَلَقد رَأينَا وَسَمِعنَا أقوَاماً لَا يَعرِفُونَ مِنَ الشّيخِ إلّا مَا يَسمَعُونَهُ مِن دُرُوسِهِ وَلَم يَرَوهُ وَلَا شَاهَدُوهُ قَطّ ، يَسألُونَنَا عَنِ الشَّيخِ وَأحوَالِهِ ، فَيَبكُونَ شَوقاً إلَيهِ وَقَد بَلَغَنِي عَن بَعضِ إخوَانِنَا الشّيشَانِيّينَ فِي ألمَانِيَا أنّهُم قَالُوا لَمّا اعتُقِل الشّيخُ فِي شَهرِ صَفَرَ سَنَة ألفٍ وَأربَعمِئةٍ وَأربَعَة وَثَلَاثِينَ :

وَاللهِ لَوَدِدنَا أن نَكُونَ حُرَّاساً لِلشَيخ ، نَذُودُ عَنهُ كُلَّ صَايِلٍ وَنُفدِيهِ بأروَاحِنَا ، وَلَو أذِنَ لَنَا لَفعَلنَا ذَلكَ ، هَذا إذَا عُلِم أنّهُم لَم يَرَوهُ قَطُّ وَلَا شَاهَدُوهُ يَوماً !

وَ يشهد الله أنّي مَا رَأيتُ مِثلَ شَيخِنَا وَلَا شَاهَدتُّ شِبهَهُ ، وَلَقَد رَأيتُ أقواماً فِي السّفَر والحَضر ، صِغَاراً وَكِبَاراً ، فَمَا رَأيتُ – واللهِ – مَن يَدعُوا إلى اللهِ وَيَقُومُ بِدِينِهِ فِي وَجهِ أهلِ البَاطِل مِثلَه

فَاعرِفُوا إخوانِي حَقّ هَذا الإمَامِ، واعلَمُوا أنَّهُ أمَانَةٌ فِي أعنَاقِكُم ؛ فَإنّ مُؤَازرَةَ أهلِ العِلمِ الّذينَ يُبَلّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ مِن أعظَمِ الواجِبَاتِ وَأفضَلِ القُرُباتِ فَليتَنَافَس فِي مُنَاصَرةِ هَذا الإمَام المُتَنَافِسُون وليَغتَنِم مِن هَذه الفُرصَةِ العَامِلُونَ

لَاسيّمَا فِي هَذا الوَقتِ الحَرِج الّذى يُلاقِي الشّيخُ مِن أعدَايِه مَا يُلاقِي مِن المِحَنِ والشّدَايِدِ والأسرِ والقَهرِ ، فَيَجِبُ السّعيُ إلَى فِكَاكِه بِبَذلِ مَا أمكَنَ مِن النّفسِ والمَالِ ، والتّفرِيجِ عَنهُ بِكُلّ وَسيلَةٍ مُتَاحَةٍ وَالقِيَامُ بِحقّهِ حَقّ القِيَامِ

وَلَو لَم يَكن سِوَى رَجُلٍ مُسلِمٍ مَجهُولٍ بَينَكُم لَوَجَبَت نُصرَتُه والسَّعيُ إلى فِكَاكِهِ ، فَكَيفَ إذَا كَانَ إمَاماً مِن أيِمَّةِ الدّينِ والمِلّة ، الّذى يُحيِي الله بِهِ الأمّةَ ، وَيَكشِفُ بِهِ الغُمَّة ، فَقُومُوا لِهذَا الأمرِ حَقّ القِيَام عَمَلاً بِقَولِ رَسُول اللهِ ﷺ « مَن نفّسَ عَن مُؤمِنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَا نَفّسَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَة » رَواهُ مُسلِمٌ عَن أبِي هُرَيرَة

وَقَولِهِ « فُكُّوا العَانِي وَأطعِمُوا الجَايِعَ » رَواهُ البُخَارِيُ عن أبِي مُوسى

قَالَ شَيخُ الإسلَامِ تَقِيُّ الدّين ابنُ تيمِيةَ رحمه الله :(فِكَاكُ الأسَارى مِن أعظَمِ الوَاجِبَاتِ ، وَبَذل المَالِ المَوقُوفِ وَغَيرِهِ فِي ذلِكَ مِن اعظَمِ القُرُبَاتِ) اهـ مَجمُوعُ الفَتَاوَى (635/28)

وَهَكَذا كَانَ العُلَمَاءُ وَطَلبَةُ العِلمِ الصَادِقُونَ تِجَاه أيِمَّتِهم وَمَشَايِخِهم ، قَالَ الإمَامُ عَبدُ اللهِ بنُ حَامِد الشَّافِعِيّ فِي رِسالَتِه القَصيرَة إلى ابنِ قَيّم فِي شَأنِ شَيخ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَةَ لَمَا سُجِنَ فِي القَلعَةِ : (وَلَمّا عَزَمتُ عَلى المُهَاجَرَةِ إلى لُقيهِ وَصَلَنى خَبَرُ اعتِقَالِهِ وَأصَابنِي بِذلكَ المقِيمُ المُقعد ، وَلَمَا حَجَجتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشرِينَ وَسَبعمأة جَمَعتُ العَزمَ عَلَى السّفَر إلى دِمشقَ لأتَوَصّلَ إلى مُلاقَاتِهِ بِبَذلِ مَا أمكَنَ مِن النّفسِ والمَالِ للتّفرِيجِ عَنهُ ، فَوافَانِي خبَر وَفَاتِهِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالى ...) اهـ

وَمِن الأمُور الوَاجِبَةِ فِي نُصرَة هَذا الإمَام ؛ نَشرُ كُتُبِهِ ودُرُوسِهِ المَسموعَة والمَقرُوءَة وَبَثّهَا بَينَ النّاس وَإشَاعَتِهَا بَينَ العَالَمِينَ ، إحقَاقاً لِلحَقِّ وإبطَالاً للبَاطِل وَنُصرَةً لِلهِ ولرَسُولِهِ وَإغَاظَةً لِأعدَاء اللهِ الّذينَ يَسعَونَ لِإطفَاءِ نُورِهِ وَ إقصَاءِ هَذهِ الدّعوة المُبَارَكَةِ وَحَجرِهَا ، هَذا إذا عَلِمتُم أنّ أعدَاء اللهِ مَنَعُوا النّاس مِن دُرُوسِ الشَيخ وأشرِطَتِهِ العِلمِيّةِ فِي بَعضِ البُلدَانِ والأقطَار ، وَيُؤخَذُ لأجلِهَا

التّوَاصى والأقدَام وَيُسجَنُ مَن يُعثرَ عَلَيهِ شَىءٌ مِنهَا أو يُقتَل ، سَعياً مِنهُم لِإطفَاء نُور اللّهِ الّذى أحيَا بِهِ العِبَاد وَالبِلادَ ، أفَلا تُغِيظونَ أعدَاء اللهِ بِنَشرِهَا بَينَ النّاسِ وَتَنالُونَ مِنهُم وَقَد قَالَ رَبّكُم لَا إله إلّا هُو : ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ التّوبَة:120

وَلا يَصُدّنّكم عَن القيَام بِهذا الأمر خَوف المشّغّبين ، وَلا تَهديدُ الظّالِمين فإنّ ذلكَ ممّا لا يَكترثُ بِه مُؤمنٌ مُوقنٌ بنصرِ اللّهِ الذى وَعدهُ بقَولِه : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾غَافِر : 51. وَتأمّلُوا مَا قَاله الإمَامُ الحَافِظ أبُو مُحمّد ابنُ حزم لِصاحِبِه ابنِ الحَوّات رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمّا تعلّل بهذَهِ الأمُور

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِى رَسَايِلِ ابن حَزمِ الأندَلُسِى(187/2): (وَوقفتُ عَلى قَولكَ فِيهِ «إنّهُ لَولَا خَوفُ المُشّغبينَ وَمَا دُهينَا بِه مِن تَرؤسِ الجَاهلينَ لَكتبتُ أقوَالكَ وَمذاهِبكَ وَبَثثتُهَا فِى العالَم وَنَاديتُ عَليهَا كَمَا يُنادَى عَلى السلَع» فَاعلَم يَا أخِى – وَفّقنَا اللّه وَإيّاكَ – أنّ خَوفَك المُشّغّبينَ لَا يَكُفّ عَنكَ غربَ أذَاهُم لَو قَدَروا لَك عَلى مَضرّة ، وَأنّ كَشفكَ الحَقّ والصّدعَ بِهِ لَا يُقدّمُ إلَيكَ مُؤَخّراً عَنكَ ، أتَخشَونَ النّاسَ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾التّوبَة : 13

يَقُول الوَاحدُ الأوّل خَالِقُنا لَا إله إلّا هُو ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ ﴾ آل عمرَان : 175 ، يَا أخِى اجتَهِد لِربّك وَادعُ إلَيه وَخفهُ فِى النّاسِ يَكفِكَ اللّه تَعالَى أمرَهُم وَلَا تَخفهم فِيهِ فَيَدعَك وَإيّاهُم – وَأعُوذُ باللّهِ – قَد سَبقَ القَضاءُ بمَا هُوَ كَائنُ فَلَن يَرُدّهُ حِيلَةُ مُحتَال ، وَكأن بالمَوتِ قَد نَزل فَترَكتَ مَن تُدارِيهم مَسرُورِينَ بِذهَابِك لَا يَنفعُونَك بنَافِعةٍ وَاذكُر قَول نَبيّكَ مُحمّدٍ ﷺ لعَلِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ «لأن يَهدىَ بهُدَاكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِن حُمرِ النّعَم » اهـ كَلامُه . أخرجهُ البُخارِىُّ (3691) وَمُسلِم (2406) وَلَفظُه : لأن يَهدِى اللّه بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَك مِن أن يَكُونَ لَكَ حُمرُ النّعم »

وَ مِن الوَاجِبَاتِ العَظِيمَةِ عَلى أهلِ العِلمِ مِن تَلامِيذِ الشَيخِ وَطَلبةِ العلمِ الصّادِقِينَ ؛ القِيَام بِرَدّ الشّبُهاتِ الّتِي تُثَارُ حَول دعوَةِ هَذا الإمَامِ ، وَإبطَالِ الأكَاذيبِ الّتى تُقالُ فِيهِ وَنَقضِ الأبَاطِيل الّتى يُحَاوِلُ أعدَاءَ اللهِ أن يُنفّرُوا النّاس عَن دَعوَتِه ، وَهذا ثَغرٌ عَظيمٌ يَجِبُ سَدّه وَواجِبٌ كَبِيرٌ يَعُمّ المُسلِمِينَ نَفعُهُ ، وَقَد سُئِلَ الإمَامُ أحمَد ﷺ : الرّجُلُ يَصومُ ويُصلّى وَيَعتَكِفُ أحَبُّ إليكَ أو يَتَكَلّمُ فِي أهلِ البِدع ؟ فَقَال : إذا صَامَ وَصلّى وَاعتَكفَ فَإنّمَا هُو لِنَفسِهِ ، وإذَا تَكَلّم فِي أهلِ البِدع فَإنّمَا هُو لِلمُسلِمِينَ ، هَذَا أفضَلُ) اهـ . مَجمُوعُ الفَتَاوَى (231/28)

فَلَا خَيرَ فِينَا إن خَذلنَا هَذا الإمَام وَتَركنَاهُ تَنهَشُه الذّئابُ وَتَلغُ فِي عِرضِهِ الكِلابُ ، وَقَد استَفرَغَ وُسعهُ وأَنفَقَ وَقتَهُ وَهَانَت عَليهِ نَفسُهُ فِي الذّبِّ عَن هَذا الدّينِ ،

وَاعلَمُوا مَعشَر إخوانِي أنّكُم اليَومَ تَقِفُونَ مَوقِف أتبَاع الرّسُل والأنبيَاء ، تَدعُونَ إلى اتّبَاع كِتَابِ اللهِ وَسُنّةِ رَسُولِهِ وَإخلَاصِ العِبادَةِ للّهِ وَحدَه ، والبَرَاءَةِ مِن الشّركِ والكُفرِ وَجمِيع المَذاهِبِ البَاطِلَةِ ، فاشكُرُ الله تَعَالَى عَلى هَذِهِ النّعمَةِ العَظِيمَةِ والمِنّةِ الجَسِيمَة

فَأنتُم اليَومَ بحَمدِ اللّهِ فِي مُقَابلَةِ أيِمّةِ الكُفرِ وَعُلمَاء الضّلَال الّذِينَ يَدعُونَ إلَى الإنسِلَاخ مِن الدّينِ ، وَيُجيزُونَ بَل يُوجِبونَ الكُفرَ والشّركَ الّذى أرسَل الله جَمِيع الرّسل بمَحوِهِ ومُحَارَبتِهِ - بالمَصَالحِ وَالهَوَى ، وَيَهدِمُون عُرى الإسلَامِ عُروَةً عُروَة ، فَأنتُم قَايِمُون بِدينِ اللّهِ فِي وَجهِ هَؤلَاءِ ، تُفَنّدُون أبَاطِيلَهُم وَتُبَيّنُون كُفرَهُم وَتَتبَرّؤُونَ مِنهُم ، وَهَذا دِينُ اللهِ الّذِى أرسَل بِهِ خَاتَم الأنبِياءِ والمُرسَلِينَ مُحَمّد بن عَبدِ اللّهِ صَلَواتُ رَبّي وَسَلَامُهُ عَليهِ ، فَاعرِفُوا قَدرَ هَذِه النّعمَةِ وَمَا أنتُم فِيهِ ،

وَصَبراً إخوَانِي عَلى المحِن وَالبَلَاءِ وَتَكَالبِ الأعدَاء ، وَاثبُتوا عَلى الدّربِ وَلا تأخُذكُم فِي اللّهِ لَومَةُ لَايِم ، ولَا تَهدِيدُ طَاغُوتٍ ظَالِمٍ ، وَلَن يَضُرّكُم مَن خَذَلكُم وَلا مَن خَالَفكُم – إن شَاءَ الله ، وَليَكُن شِعَارُنَا وَمَوقِفنَا :

وَلَن أَلِينَ لِغَير الحَقّ أقبَلُهُ **** حَتّى يَلِينَ لِضرسِ المَاضِغِ الحَجَرُ

وَنَسألُ اللهَ سُبحَانَهُ أن يُثَبّتنَا وَإيّاكُم عَلى الحقِّ وَيَجمَعَنا تَحتِ لِوَاء سَيّدِ المُرسَلينَ ، وَنَسألُهُ أن يَفُكَّ أسرَشَيخِنَا وَزَوجِهِ ، وَيُعَجّلَ فَرَجهُمَا

وَالله عَلى تَذلِيل الصّعَابِ وَتَحوِيلِ المِنَن قَادِر ، وصَلّى اللّه عَلى سَيّدِ الأوَائِل وَالأوَاخِر ، وَعلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَتَبِعَهُم بِإحسَانٍ إلى اليَومِ الآخِر .

وكتبهُ : أبُو مُحَمَّد العَلِيّ

لَيلَةَ الجُمُعَة 19 مِن جُمَادَى الآخِرَة سَنةَ 1435 هـ